التراث الثقافى لقبيلة أولاد موسى فى ليبيا
"دراسة ميدانيه فى الانثروبولوجيا الثقافية"

نفيسه عمر عثمان محمد، عبدالرحيم تمام أبوكريشة، محمد مسعد إمام
معهد البحوث والدراسات الإفريقية ودول حوض النيل ـ جامعة أسوان

أولاً : التراث الثقافي المادى وغير المادى وأهميته

وَضعت اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي لعام ١٩٧٢م تعريف شامل للتراث الثقافي موضحاً به مكوناته , وعُرف بأنه المعالم الطبيعية التى تكونت من تشكيلات بيولوجية أو طبيعية أو مجموعات لهذه الأشكال التى تتميز بقيمها العالمية فائقة الجمال والعلمية , والتشكيلات الجيولوجية و المساحات المحددة بدقة التى تكون محط أصناف النباتات المهددة والحيوانات, يتضح من ذلك أن التراث الثقافي العالمي يتمثل فى المتاحف والمؤسسات الثقافية, المباني التاريخية و المواقع الأثرية هذا عن التراث الثقافي المادي, أما التراث الثقافي غير المادي فيشمل الأعمال الفنية بمعناها الواسع .[١] لذا فإن المجتمعات تنهض وتطور وتنمو عن طريق ثقافته وتراثه , يُصبح ذلك عبئاً كبيراً على العملية التربوية فى النمو والنهوض والتطور لأن الهدف العام للتربية هو إنتاج " شخصية " نشطة فى المجتمع , المنتمية لوطنها ومجتمعها , المتجذرة بتراثها وثقافتها , ويعنى ذلك إنتاج شخصية متوازنة عقلياً وعاطفياً وروحياً وجسدياً , ينتج عن ذلك شخصية قادرة على تعامل الآخرين بنظرية أخلاقية تلائم نوع ثقافة الآخرين.

فالتراث هو الجزء الموروث اجتماعياً من الثقافة , أي كل ما تركه السابقون خلفهم للخَلف من أشكال سلوكيات جماعية أو آثار تدل عليها , لذا فالتراث الثقافي إما أن يكون مادى على شكل أبنية وأدوات وغيرها من الشواهد المادية الملموسة , وقد يكون معنوي فى الأدب والفن والعلوم والعقائد والأفكار والأساطير . ويتميز طرفى التراث الجانب الأهم فى الثقافة , لأن التراث يُكون هويه المجتمع , لذلك يعتز ويتمسك كل مجتمع بتراثه .[٢]

---

١) صلاح عبدالرحمن الحديثي و سلافه طارق الشعلان (٢٠٠٧) الحماية الدولية للتراث الثقافي العالمي فى ضوء حالة العراق , مجلة القانون , ص٢

٢) عالية عربيات (٢٠١٤) إدماج التراث فى المناهج , مجلة رسالة معلم , المجلد ٥١ , العدد الثاني ,

المحور الأول : التراث فى كتابات العلماء

اتفق الباحثين على أن التراث ينتمى إلى زمن الماضي , اختلفوا بعد ذلك فى تحديد هذا الماضي , فالبعض يرى أن التراث هو كل ما تم التوصل إليه من الماضي البعيد , نتيجة لذلك عُرف التراث على هذا الأساس أنه " كُل ما ورثناه تاريخياً " والبعض يرى أن التراث هو " كُل ما جاءنا من الماضي البعيد والقريب أيضاً ".

فمن وجهه نظر د. عابد الجابري ما هو إلا " جانب فكرى من جوانب الحضارة العربية الإسلامية العقيدة الشرعية , واللغة , والأدب والفن , والفلسفة , والكلام , وأخيراً التصوف .

ويرى الدكتور فهمى جدعان أن " التراث يضم الجانبين الاجتماعي كالعادات والتقاليد والمادي كالعمران إلى الجانب الفكري " ويرى الدكتور فهمى أن ما يقع من التراث يتم تحديده على ثلاثة أصعدة هي :

١- العقائد والأفكار والمفاهيم .

٢- المبدعات التقنية أو المصنوعات .

٣- العادات والقيم .

وبدوره يرى الدكتور طه عبدالرحمن أن " التراث ليس مجرد تركة , بل إنه يُلازمنا تاريخاً وواقعاً , أي ليس ماضياً فقط , ولكنه ماضٍ يعيش فى الحاضر ولذا فى رأيه بأنه كثُرت الأعمال المشتغلة بالتراث دراسةً وتقويماً "

فى حين يرى الدكتور محمد رياض وتار التعريف الآتي للتراث " أنه هو الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي , المكتوب والشفوي , الشعبي والرسمي , اللغوي وغير اللغوي الذى وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب موضحاً أسباب اختياره لهذا التعريف بأنه يراعى الشمولية فى تحديد التراث , ويضم المقومات جميعاً .

وهناك أيضاً تعريف آخر للتراث " هو شكل أو نمط روحي ممتد خلال عصور زمنية طويلة , شارك فيها جميعاً الآباء والأجداد والأسلاف , ويضم فى مجمله التراكمات لشتى النشاطات الإنسانية سواء أكانت نشاطات فردية أو جماعية والعديد من التيارات الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية وإن تناقضت أحياناً " لذا فإن التراث " جماع التاريخ المادي والمعنوي لأمة منذ أقدم العصور حتى الآن "

وهناك من يرى بأن " الآثار التى نجمت عن المجموعة البشرية والطبيعية ماراً بالعصور المختلفة ذات الأزمنة المديدة , ويمكن أن يكون لهذا التراث انتشار فى العالم كله "

وأخيراً يُعد التراث " الآثار المكتوبة الموروثة التى حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة ليوصلها إلينا" , لأن تاريخ أي

ص ١٧ .

تراث كان هو غير محدود لأن كل ما تركه المؤلف ورائه أو بعد حياته من إنتاج يُعد تراث فكرى " [٣]

المحور الثاني : أهمية المحافظة على التراث الثقافي

يحمل التراث أهمية كبرى لدوره الفعال فى تغذية العقل الجمعي ومده بالقيم بجانب مساهمته فى تشكيل الوعى العام , لذا كان المحافظة عليه ونشره ونقله من جيل إلى آخر والحرص على ضمان استمراريته مسؤولية الجميع دون استثناء , فكلنا راع وكلنا مسؤول على صيانة تراثنا الذى يُمثل خيط شعوري يضمن اتصال الأجيال بعضها ببعض, بالإضافة إلى أنه يُحدد ملامح هويتنا التراث يكمل هوية الإنسان , إما مادى أو معنوي لأنه ضرورة إنسانية وأحد ركائز الهوية التى بدونها يُصبح الإنسان مثل الريشة تقاذفها الرياح, ويقول المثل الشعبي المصري " من فات قديمة تاه", وقديم أي إنسان هو تراثه وتاريخه الذى يُمثل المرايا العاكسة , التى ينظر إليها قائد السيارة من وقت لآخر أثناء قيادته , لتفادى مخاطر الطريق ويصل إلى وجهته بسلام دون أن يتعرض إلى أي خطر مُفاجئ, فالتراث بشقيه يكتسب يومياً أهميته من كونه مصدر للفخر بحضارات الأجداد , بعد ذلك يُعد الحفاظ على التراث والعمل على تنميته خيار استراتيجي للدول العربية , التى تنعم بتاريخ طويل وممتد فى حضارات عظيمة وجدت لنفسها مكانة عظيمة , وتقف شواهدها شامخة , منذ عصور ما قبل التاريخ وصولاً إلى أحداث الإبداعات الإنسانية .

والمحافظة عليه ضرورة لها , خاصة وهى تنظر بأمل تستشرف أبعاد المستقبل , وإلزاماً عليها أن تسترجع النقاط المضيئة فى تاريخها الماضي لتستمد منها العون والوصول لمستقبل أفضل. والجدير بالذكر أن الحفاظ على التراث كان ولا يزال نواة المفهوم الجديد للتراث العالمي, الذى تضمنته اتفاقية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام ١٩٧٢م التى وضعت بنودها من قبل منظمة اليونسكو.[٤]

ولقد أصبح موضوع الحفاظ على التراث الثقافي بمختلف أنواعه مواجهه للأفكار , والمؤسسات , والتقنيات , لأن التراث الثقافي بصفة عامة يُشكل ما تمتاز به عن غيرنا وما نتعرف به على أنفسنا وبناء لهويتنا الثقافية, فهل يعي الجميع النفع الذى يعود إليه من التراث الثقافي الاجتماعي وفائدته الجماعية , وأهميته فى عصر النمو السريع الاقتصادي.

لقد أصبح التراث اليوم يُدرك كقيمة تبادلية وأداة للتطور متوازياً مع نمو السياحة الدولية , نتيجة لذلك فالمحافظة على تراث شعب من الشعوب يُحرر من التبعية .[٥]

---

[٣]) عائشة خلافي (٢٠١٦) هاجس التراث فى رواية اللاز , رسالة ماجستير منشورة , كلية الآداب والفنون , جامعة عبدالحميد بن باديس – مستغانم , ص ٥ , ص ٦

[٤]) على عفيفي على غازي (٢٠١٦) التراث المادي والتراث المعنوي , مجلة فكر , العدد ١٥ , ص ٥٧

[٥]) بشار راضية (٢٠١٥) إشكالية التراث الحضري وأهمية المحافظة عليه , مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع, العدد٣٣ , ص ٢٣٥

لذا تكمن أهمية المحافظة على التراث فى الأهداف التى تتمثل فى التراث ويُمكن أن نُلخصها فيما يلى :

١- من خلال الحفاظ على التراث الثقافي وحضارته وحفاظه على ذاكرة الإنسان وهويته وهوية مجتمعه , يتضح من ذلك طبيعة علاقة الثقافة بالهوية الشخصية لشعب من الشعوب كما تتضح من ذلك قوة الروابط بين التراث بالثقافة والذاكرة , لذا فإن العلاقة بين التراث والثقافة والحضارة علاقة وثيقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

٢- الحضارة التى تتنوع ثقافتها الداخلية تكون دائماً مُرشحة للقيام بعمليات كالتطور والابتكار ومثال على ذلك الماضي والحاضر, فقد تميزت الحضارة الإسلامية بالغناء وسرعة التطور لأنها استفادت وتغذت من ثقافات الشعوب المختلفة .

٣- بقيمة التراث الثقافية والاجتماعية نجده مصدراً تربوياً وعلمياً واجتماعيا وثقافياً وفنياً , لذا فتراكم الخبرات يُكون الحضارة وتراكم المعلومات يُكون الذاكرة وبدور الذاكرة " تُمكن الإنسان من فهم العالم بأن تربط بين خبرة الإنسان الراهنة ومعارفهم السابقة عن العالم وكيف يعمل " ولذلك فإن الذاكرة والتراث الثقافي الذى ننادى بالمحافظة عليه علاقة طردية مع إبداع الأفراد والشعوب .

٤- التراث الثقافي مادة استراتيجية , أي أنها إذا تم فُقدانها لن تتجدد مثلها مثل البترول , لأن فقدان التراث الثقافي يُعنى فُقدان الذاكرة وأيضاً إفقاراً اقتصاديا حقيقي للمجتمع الذى يفقده , فالذاكرة هي التى تساعد على اتخاذ القرارات لأن الإنسان الذى يفقد ذاكرته لا يستطيع العثور على باب منزله , فكيف يطور ذاته ويصنع مستقبله بالتالي فهذا ينطبق على الفرد والمجتمع. [٦]

المحور الثالث : العوامل التى تهدد التراث الثقافي .

هناك العديد من المشاكل التى تواجه التراث الثقافي منها العوامل الطبيعية والعوامل البشرية التى تعرض التراث للتهديد وتعرضه للتشويه والتدمير منها:

أ- العوامل الطبيعية

العوامل التى تنتج من خصائص البيئة الطبيعية التى تتمثل فى الشعاع الشمسي ومناخ البيئة من رياح وحرارةٍ و أمطار والكوارث كالزلازل والفيضانات والبراكين والصواعق والمشاكل البيولوجية مثل الحيوانات الضارة والزواحف والكائنات الحية الدقيقة والحشرات والنباتات .

[٦]) جمال عليان (٢٠٠٥) الحفاظ على التراث الثقافي " نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته" , مطابع السياسة , الكويت , ص ٧١

ب- **العوامل البشرية**

تتمثل فى تعدى البشر على مواقع التراث الثقافي , جراء ذلك أودت لتلك المواقع خسائر فادحة وجسيمة كالحرائق الناتجة من جراء الإهمال ولصوص الآثار وأعمال الهدم والتخريب وتشويه التراث والترميم الخاطئ.

بالإضافة إلى ذلك جهل السكان بأهمية المحافظة على تراثهم الثقافي وقيمته التاريخية والإبداعية لمواقع التراث وغياب وعيهم الثقافي وعدم الإحساس بالانتماء والنمو السكاني السريع . [٧]

المحور الرابع : دور المنظمات الدولية و الإقليمية فى حماية التراث الثقافي .

لحماية التراث الثقافي يجب الاعتماد على القواعد التى تنص عليها مختلف الوثائق والاتفاقيات الدولية، ومنها:-

١- الأساس الثقافي

من خلال مزايا الممتلكات الثقافية يظهر هذا الأساس لأن الممتلكات الثقافية تُمثل تراث ثقافي وروحي للشعوب، فبالتالي إذا تم تدمير تراث شعب من الشعوب يعنى ذلك تدمير ثقافة أمم وشعوب ، أما حمايتها فيعنى حماية ثقافة هذه الأمم والشعوب .

٢- الأساس المدني

لا يجوز التعرض للممتلكات الثقافية لأنها تعد أعيان مدنية، وأيضاً لا يجوز مهاجمتها مادامت أنها ليست من الأهداف العسكرية فلا فائدة ترجى من تدميرها، إذاً فهي أماكن محايدة كما وضحتها المادة الثانية من ميثاق روريخ .

٣- أساس الإنسانية

أكدت نصوص اتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤م تعهد أطراف هذه الاتفاقية باحترام التراث الثقافي والممتلكات سواء كانت فى أراضيها، أو أراضي الأطراف الأخرى .

لأن الأضرار التى تصيب ممتلكات شعب من الشعوب خلال النزاعات المسلحة إنما تصيب التراث الثقافي للبشرية جمعاء، فهي إذا اعتبرت التراث الثقافي ملك للإنسانية.

فمصدر هذا من الأساس هو من قرار مجلس الأمن رقم ٢٧١ بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ م , للرد عقب حرق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م , وفيه وضحت ضرورة الاعتماد على فكرة الإنسانية فى حماية تلك المقدسات

[٧]) ياسر هاشم عماد (٢٠١٦) دور المنظمات الدولية والإقليمية فى حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه , مجلة أدوما تو , العدد الرابع والثلاثون , ص ٩٠

بالاعتبار أنها تراث ملك لكل جيل من الأجيال، وليس لجيل بعينه.[٨]

ثانياً: أهمية التراث الثقافي المادي

يلعب التراث الثقافي دور هام فى تعزيز هوية الإنسان وإذكاء روح الوطنية للمجتمع , ذلك من خلال توضيح خصائص التراث الثقافي واستكشاف نوعية العلاقات القائمة بين الناس وارتباطهم به . وهذا يُعد دور الأنثربولوجيين الذين يُقدمون التفسيرات التى تصلُح للتراث الثقافي , ويبحثون عن التاريخ المشترك لإبراز الانصهار الثقافي فى المجتمع والتأكد من روابطه واتفاقه بما يتماشى مع القضايا الخاصة بالمجتمع .

وقد دلت دراسات تراثية أُجريت فى الكثير من الدول العربية على أن التراث الشعبي تظهر أهميته فى أوقات الشدة والأزمة التى تمر بها البلاد فى فترة من الزمن , مثال على ذلك وجود خطر خارجي يهدد سلطة وكيان الدولة، ففي هذه الحالة يتمكن التراث الشعبي من القدرة على تقوية وتوطين طاقات الشعب وتأمين تكاتفها لتواجهه مثل هذه العقبات فى المجتمع . مثله مثل الكائن الحى يتأثر سلباً وينزعج عند دخول عدو أو جسم غريب ضده , ويضطر فى هذه الحالة حماية نفسه والاستعداد للدفاع عن أرضه وعرضه . [٩]

يضم جزء الثقافة المادية الكثير والكثير من المقتنيات المادية , والخبرات التى تُوَرَث و التى تتعلق بشؤون العمل , وتُقسم الثقافة المادية إلى عدة فروع مثل : العمارة , والحرف , والمهن , والأدوات المنزلية , وأدوات الطعام , وأدوات الزراعة , والفلاحة , والأسلحة .

فكل ما سبق من التراث الثقافي المادي القيم يستحق الحماية والمحافظة عليه بشكل أمثل للأجيال القادمة , لذا فالتراث يتميز بمميزات وخصوصيات بالنسبة للمجتمعات , ويصبح ذلك التراث من الأهمية بالمكان ليكون دافع ليتم دراسة تاريخ البشرية جمعاء . مما سبق يدل ذلك على الاعتراف بأهمية الماضي , حيث يدلنا أخيراً إلى التواصل السليم مع التاريخ والحقائق .[١٠]

لذا فإن التراث الثقافي المادي يكتسب أهمية كبيرة منها :

الهوية الوطنية : إن المخلفات المادية للحضارات التى تعاقبت على الأراضي ليست مجرد شواهد حجرية ساكنة , بل هي رموز لهوية متأصلة تغرس جذورها فى أعماق التاريخ وتمر عبر الزمان , وأيضاً الاستعمار الذى ظل

---

٨) إسعاد أحسن (٢٠١٥) الحماية الدولية للتراث الثقافي أثناء النزاعات المسلحة , رسالة ماجستير , قسم القانون العام, كلية الحقوق والعلوم الأساسية , جامعة عبدالرحمن ميرة , بجاية , ص ١٥

٩) أحمد أبو القاسم الحسن (٢٠١٤) التراث الأثري جدواه وسبل الحفاظ عليه "حملة إنقاذ آثار النوبة نموذجاً" , مجلة أدوما تو , العدد الثلاثون , ص ٦١

١٠) حاجى يحيى , قجال نادية (٢٠١٨) التراث الثقافي المادي واللامادي ودوره فى بعث السياحة الصحراوية , مجلة جماليات , جامعة عبدالحميد بن باديس مستغانم , مجلد ٥ , العدد ١ , ص ١٢٥

يشكك من هوية المجتمع الجزائري وفى تاريخها المشرق بالأمجاد والبطولات , واجهته آثار مازالت قائمة فى العديد من مُدن الجزائر الأثرية تؤكد أن هناك مجتمع عرف كل طبقات الحضارة البشرية التى تراكمت على أرضه بدايةً من عصور ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا .

لذا فقد كانت الآثار وما تزال عنوان هذه الهوية التى تُعتبر أقدم عهداً من العديد من الدول الأوروبية , بالنسبة إلى علم الآثار فإن الهوية الوطنية , تعنى كل الشواهد المادية التى توجد تحت الأرض وما فوقها من ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا .